سلسلة بحوث كلامية مقارنة (٤)

الدعاء والتوسّل بالأولياء

مطلوب أم ممنوع؟

بحث علمي يكشف عن مشروعية طلب الحاجة والتوسّل
بالأنبياء والأولياء ويستقصي الروايات الواردة
في مصادر الجميع

تأليف

آية الله السيّد حسن طاهري الخرّم‌آبادي

نقله إلى العربية

رعد الحجّاج

سر شناسه	: طاهری خرم آبادی، حسن ، ۱۳۱۷ ــ ...
عنوان قراردادی	: دعا و توسل. عربی.
عنوان و نام پدیدآور	: الدعاء والتوسل بالأولياء مطلوب أم ممنوع؟ بحث علمي يكشف عن مشروعية طلب الحاجة و... /تأليف حسن طاهري الخرم آبادي / نقله الى العربية رعد الحجاج.
مشخصات ناشر	: طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات والدراسات العلمية، ۱٤۲۹ ق - ۲۰۰۸ م =۱۳۸۷.
مشخصات ظاهری	: [۱۵۱] ص .
فروست	: سلسلة بحوث كلامية مقارنة: ٤ .
شابك	: ۹۷۸-۹٦٤-۱٦۷-۰۱۷-۹
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت	: عربی.
یادداشت	: کتابنامه: ص. [۱٤۷] ــ ۱٤۸ ؛ همچنین به صورت زیرنویس.
موضوع	: دعا ــ ــ فلسفه.
موضوع	: توسل.
موضوع	: توسل ــ ــ احادیث.
شناسه افزوده	: حجاج ، رعد ، مترجم.
شناسه افزوده	: مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی، معاونت فرهنگی، مرکز مطالعات و تحقیقات علمی.
رده بندی کنگره	: ۱۳۸٦ ۷ د ۱۵ ط/ BP ۲٦٦/۷
رده بندی دیویی	: ۷۷ / ۲۹۷
شماره کتابشناسی ملی	: ۱۱۷۵۷۹۸

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

- اسم الكتاب: الدعاء والتوسّل بالأولياء : مطلوب أم ممنوع ؟
- تأليف : السيد حسن طاهري الخرّم آبادي
- نقله الى العربية : رعد الحجّاج
- تقويم النص : شوقي شالباف
- تنضيد الحروف: عصام البدري
- تصميم الغلاف: محمد تقي مهجور
- الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات والدراسات العلمية.
- الطبعة: الأولى ــ ۱٤۲۹ هــ ق / ۲۰۰۸ م
- الكمية : ۲۰۰۰ نسخة
- السعر : ۲۰۰۰۰ ريال
- المطبعة : نگار
- شابك: ۹۷۸-۹٦٤-۱٦۷-۰۱۷-۹
- العنوان: الجمهورية الإسلامية في ايران ــ طهران ــ ص . ب : ٦۹۹۵ ــ ۱۵۸۷۵
  تلفكس : ۱٤ ــ ۸۸۳۲۱٤۱۱ ــ ۲۱ ــ ۰۰۹۸

جميع الحقوق محفوظة للناشر

مقدّمة المركز

لم تكن مسألة الدعاء والتوسّل بالغير من المواضيع الجديدة والطارئة على الإنسان، بل هي مسألة قديمة بِقِدم الإنسان علىٰ سطح هذا الكوكب الصغير وإن اختلفت صورها من أمة إلى أخرىٰ، ومن إنسان إلى آخر.

فمنذ أن لامست قدما الإنسان الأرض وحاول تأمين غذائه ولباسه ومسكنه صار يهتمّ بهذه المسألة اهتماماً مستفيضاً، وأضحت من أبرز المظاهر التي كان يمارسها في حياته اليومية، مادام ثمة كوارث وتهديدات تعصف به، ومخاوف ومحن يفزع منها.

فإذا ما أحاطت به يوماً كوارث طبيعية مخوفة، أو حدث اقتتال طاحن لم يستطع دفعه، تراه يلوذ بكلّ ركنٍ يراه هو وثيقاً، من إنسان صالح أو شيء يعتقد بقدسيته، مستغيثاً به، لاجئاً إليه، فيطلب منه حاجته من السلامة والنجاة، غير مكترث ما يقوله عنه غيره.

وبهذا المنظار فمسألة الدعاء والتوسّل بالغير مركوزة في وجدان الإنسان وفطرته، خاصةً إذا كان الغير يمثّل إنساناً صالحاً وصدّيقاً خيّراً، فلم يواجه أيّ إنسان يوماً ـ وهو في خضم هذه التجربة ـ حرجاً إذا ما توسّل بهذا الإنسان الصالح وطلب منه الدعاء له، ولا

معارضةً لمنطق الإيمان والعقل إذا ما قام بذلك، ولا مخالفةً لما جرت عليه العادة عند الناس رغم اختلاف مستوياتهم الحضارية والعلمية. وهذه الظاهرة لم تكن تختصّ بها طائفة دون أخرىٰ، كما ولم تقتصر على أمة دون أخرىٰ.

ألم يستغث اليهود بموسىٰ عليه السلام، وإخوة يوسف عليه السلام بأبيهم يعقوب عليه السلام؟ ويتوسّل قوم يونس بالاطفال والرضّع إلى الله سبحانه ليرفع عنهم الهمّ والغمّ والعذاب؟

والإسلام لم ينكر مسألة الدعاء والتوسّل بالغير إذا كانت تقع على امتداد الدعاء والتوسّل بربّ العباد، بل وصادق عليها في جملةٍ من الآيات والتعاليم النبوية الشريفة، لكونها عاملاً مؤثّراً في تعزيز الصلة بالله تعالى من جهة، وتهذيب النفس والسلوك ممّا يعتريهما من أدران من جهة أخرىٰ.

فالدعاء والتوسّل إلى الله بأوليائه الذين أجاز التوسّل بهم يشكّل ـ في الحقيقة ـ عملية ارتقاء روحية تبعث في النفس القوة على الانتشال من ربقة الضياع واليأس إلى حيث الهداية والرشاد.

فالدعاء والتوسّل بالأنبياء والأولياء والصالحين من العباد، والصلاة والتنسّك، والبكاء والحزن والاستكانة التي يبديها الإنسان إلى الوليّ، إنّما يعني أنّه يسأله الدعاء وطلب الرحمة والمغفرة والعافية والشفاء و...، أي أنّ كلّ ما يقوم به من توسّل إنّما هو إبداء ذلك إلى الله سبحانه، فالتوسّل بالغير كما أراده تعالىٰ يعني التوسّل بالعزّة والجلالة نفسها، وليس هو شيئاً آخر مغايراً ومختلفاً عنه.

وقد جرىٰ اتّفاق غالب المسلمين علىٰ ذلك.

ولمّا أكرم الله سبحانه وحبا بعض أفراد البشر بكرامات وسمات، فما الضير في الذهاب إليه وسؤاله الدعاء بالمغفرة والرحمة، أو طلب الشفاء من المرض، طالما كان الاعتقاد راسخاً بكون هذا البعض ليس مستقلّاً في فعاله عن الله سبحانه، ولايعدو كونه واسطة ليس إلّا؟

بيد أنّ ثمة من رفض هذا التفسير وأنكره، ودعا إلى التفصيل بين ما يقوم به المسلم من دعاء وتوسّل بربّ العزّة سبحانه والتوسّل بغيره من مخلوقاته!

كما واحتجّ على ما يمارسه المسلمون في شرق الأرض وغربها ـ فضلاً عن غيرهم ـ من أُمور يراها تدخل في مجال الطعن بالتوحيد الذي هو أصل من أصول الدين والشرع المقدّس.

وبذلك فهذا البعض قد شكّك في التصوّر تجاه هذه الممارسات التي درج عليها المسلمون وغيرهم، في شرق الأرض وغربها، بأدلّة لاتكاد تنهض بالمطلوب، وتوهّم أنّ التوسّل إلى الله بالأولياء والصالحين شرك!

إنّ هذه الرؤية الخاطئة لم تكن لتنشأ ولا تستفحل لولا وجود عاملين في البين:

الأول: الاستعمار وألاعيبه المكشوفة التي يريد بها كسر شوكة الإسلام والطعن في مصداقيّته لدىٰ الرأي العام الإسلامي، من خلال إثارة الشكّ في كلّ تعاليمه ومفاهيمه عند أتباعه، وهي غاية عدّها من أولويات مهامه على هذا الصعيد.

والثاني: خطأ المبنىٰ لدىٰ تصوّر هذا البعض وانحرافه عن جادّة الصواب، هذا ويضاف إليه بساطة بعض المسلمين وتصديقهم بكلّ ما يطرحه العدوّ المتخفّي بأقنعة شتّىٰ.

ولا يخفىٰ على الباحثين أنّ هذه المسألة قد لاقت عنايةً فائقةً من أطراف غربية عديدة، واهتماماً واسعاً من قبل دوائر الاستشراق لغرض تفعيلها بصورةٍ تخدم أهداف الغرب وطموحاته على صعيد مواجهة الشرق عامة، والعالم الإسلامي خاصة.

بيد أنّ مثل هذه المكائد لم تكد تظهر حتّىٰ فطن إليها علماء المسلمين رغم الجهود والأموال المبذولة في هذا السبيل، فنهضوا ردّاً ودفعاً لكلّ حملة دعائية أو شبهة مثارة، يراد من خلالها تكريس حالة الفُرقة والتباغض بين طوائف المسلمين، ليسهل القضاء عليها الواحدة تلو الأخرىٰ.

وما إثارة الشبهات، والتصعيد في الطعن والاقتتال بين الفئات والمجموعات المسلمة، حول مسائل عقائدية أو كلامية، إلّا محاولات تصبّ في هذا الاتجاه، مع علمهم أنّ أيّ مظهر يدعو إلى وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم يعني أنّهم باتّجاه خطوة إلى الاندحار والفشل.

وقد نهض علماء المسلمين: شيعة وسنّة، نحو هذه المسألة، تأليفاً وتدريساً وخطابةً... من أجل بيان الحقيقة، ودحض كلّ الشبهات والمزاعم بالكلمة العلمية والدليل القاطع، ومناقشة كلّ ما يثيره البعض المخالف من أوهام.

ومن أبرز هؤلاء آية الله السيد حسن طاهري الخرّم آبادي، الذي لم يألُ جهداً في التصدّي لهذا التصعيد المعادي، ويردّ سهام الاستعمار والصهيونية إلىٰ نحورهم.

وهذا الكتاب: «الدعاء والتوسّل بالأولياء، مطلوب أم ممنوع؟» الذي يحمل الرقم (٤) ضمن سلسلة بحوث كلامية مقارنة أزمع مركزنا العلمي التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية أن ينشر نظمها ولآلئها بين الناس، من خلال تحقيق وطبع ونشر الكتب العقائدية التي من شأنها البحث عن الحقيقة والكشف عنها لغرض الهداية والرشاد، والدعوة إلىٰ الوحدة والتعاون بين أطراف المسلمين، ونبذ كلّ أشكال التباغض والاقتتال ونفي الآخر.

لقد وجد مركزنا أنّ المؤلّف لم ينهض لتأليف هذا السفر المختصر والمفيد إلّا في سبيل الدفاع عن رسالة الإسلام وتعاليمه السامية، وحماية عقائده من كلّ مَن يريد أن يلوّثها ويشكّك في مصاديق هذا الدين الحنيف.

فهو أحد علماء المسلمين الذين نصروا الاسلام بقوة، واهتمّوا بصيانته من كلّ اعتداء يقوم به أعداء الإسلام ضد العقيدة الإسلامية الصحيحة، مؤكّداً على أنّ هذه القضية إسلامية أكثر ممّا هي قضية شيعية، وإلهية أكثر ممّا هي إنسانية.

وهذا ما دعا مركزنا العلمي إلى الاهتمام بهذا السفر القيّم رغم صغر حجمه، وكان قد كتبه المؤلّف باللغة الفارسية، فتمّ ترجمته إلى العربية لينال حظّه من القرّاء العرب المسلمين، وتقويم نصّه بما يتلاءم

وذوق العصر الحديث.

وإذ نقدّر جهود المؤلّف المخلصة على هذا الصعيد، لا ننسىٰ أن نشكر الأخ المترجم الفاضل رعد الحجّاج على ما أبدىٰ من حسن تعاون في العمل، وأيضاً الأخ الفاضل شالباف الذي تحمّل عبء الإشراف على متابعة مراحل طبعه وتصحيح الإشكالات الفنية الواردة فيه مع النهوض بتقويم نصّه، وكذلك العاملين الذين بذلوا كلّ ما لديهم لإعلاء كلمة الوحدة والتوحيد عالياً، فجزاهم الله جزاء المحسنين.

هذا ونجدّد دعوتنا إلى كلّ المصلحين المخلصين في أن ينهضوا للدفاع عن ثقافتنا الأصيلة، وحماية كلّ ماله صلة في تعزيز الوحدة والتقارب بين طوائف المسلمين، ويطرحوا أجندتهم الثقافية والحضارية من أجل خير الأمة وسعادتها التي تكون بسعادة أبنائها جميعاً حيثما كانوا، وهو ما يأمله مجمعنا العالمي الأغرّ من جميع الطيّبين والمخلصين من علمائنا الأبرار وكتّابنا الأحرار في شرق الأرض وغربها... والله المستعان.

أحمد المبلغي

مسؤول مركز التحقيقات والدراسات العلمية

التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية